الأولى على تجهيزات أخرى، لكن سرعان ما يتحوّل المسار إلى مسار شراء بحت. قد يبقى باب الشراء مفتوحًا إلى حدّ معيّن، لكن بعد مدّة سيُغلق، ولن تتمكّن من الاستمرار في الشراء، ولن تحصل على النسخ المطوّرة أو المدى الجديد. لذا، كان ذلك القرار مصيريًا للغاية، وهو المسار الذي رسمه سماحته وحدّد سكّته.

إذا أردنا أن نجري مقارنة بين الوضع العسكري للبلاد في نهاية مرحلة «الدفاع المقدس» والوضع اليوم، فما هي الفروقات التي نراها؟

دعوني أوضّح لكم: لا يمكننا إجراء تقييم دقيق لما تحقق من تقدّم دون إجراء مقارنة موضوعية. لننظر إلى نهاية الحرب، عند صدور القرار ٥٩٨، ولنرَ أين كنّا آنذاك، ثم نُقارن ذلك بما وصلنا إليه اليوم، في عام ٢٠٢١. كم تقدّمنا في هذه السنوات الاثنتين والثلاثين؟ عندما دخل حرس الثورة الإسلامية إلى ساحة الحرب، لم يكن يملك شيئًا تقريبًا. وفي نهاية الحرب، كان يمتلك بعض التجهيزات التي حصل عليها كغنائم. لقد كان الحدّ الأقصى من إمكاناتنا آنذاك يقتصر على المدافع، والدبّابات، والهاونات، والأسلحة الخفيفة وشبه الثقيلة؛ لم نكن نملك سلاحًا يُعتدّ به على مستوى الردع أو الهجوم الاستراتيجي. أما الجيش، فقد مضت عليه عشر سنوات منذ انتصار الثورة، أمضى منها ثماني سنوات في الحرب. وكلّ ما كان بحوزته من تجهيزات إما تضرّر بفعل المعارك أو تمّ استهلاكه. والأهم من ذلك، أننا كنّا قد تأخّرنا نحو عشر سنوات عن مواكبة التكنولوجيا العسكرية الحديثة في العالم، لأننا في تلك الفترة كنا تحت الحظر الشامل، ولم يكن أحد يمنحنا شيئًا.

كانت الدول المصنّعة للأسلحة قد أحرزت تقدّمًا كبيرًا، في ما كانت الدول المنضوية ضمن المعسكرين الغربي أو الشرقي تحصل على الأسلحة منهما بسهولة. العراق، على سبيل المثال، استمر في الحصول على السلاح حتى آخر يوم من الحرب، بل حصل على أسلحة متطوّرة. أما نحن، فلم نتمكّن من الحصول على شيء؛ لم يُعطِنا أحد شيئًا، لأننا كنّا تحت الحظر. لقد تسبّب هذا الحظر في تأخّرنا. ففي نهاية الحرب، كان وضعنا العسكري من حيث الجهوزية والقدرة والتسليح يعاني من تراجع واضح. لم نكن في موقع جيّد، لا على مستوى الجيش ولا على مستوى الحرس. لم نملك إمكانات تُذكر، بل كنّا نمتلك مجرد مجموعة من المعدّات الأجنبية: بعضها غربي، وبعضها شرقي، وأخرى من الغنائم، وكلّها كانت بعيدة فعلًا عن مستوى القدرات الحديثة.

حسنًا، عندما تنظرون إلى نهاية مرحلة «الدفاع المقدّس»، سترون أين كنّا. أما اليوم، فانظروا أين وصلنا. في العقود الثلاثة الأخيرة، اشتدّ علينا الحظر التسليحي؛ لم يُخفَّف بل أصبح أشدّ مما كان عليه أثناء الحرب. ولم نتلق أيّ دعم من أحد. كما كنا واقعين تحت الحظر الاقتصادي أيضًا، صحيح أنّه تفاوت بين فترة وأخرى، لكن على أيّ حال، هذا الحصر الاقتصادي تسبب لنا بمشكلات وضغوط مالية، إذْ كانوا يمارسون الضغوط، ويخفضون أسعار النفط، وبالنتيجة لم تكن القوات المسلحة تحصل على الميزانية التي تحتاجها أبدًا. كانت [القوات المسلحة] دومًا في مأزق، سواء من حيث الميزانية أو من نواحٍ أخرى إلى ما شاء الله.

حسنًا، عندما تنظرون إلى نهاية مرحلة «الدفاع المقدّس»، ستدركون أين كنّا آنذاك. أما اليوم، فانظروا أين وصلنا. في العقود الثلاثة الأخيرة، اشتدّ الحظر التسليحي؛ لم يُخفَّف بل أصبح أشدّ مما كان عليه أثناء الحرب. ولم نتلقَّ أي دعم من أحد. كنا أيضًا تحت وطأة الحظر الاقتصادي، صحيح أنّه تفاوت بين فترة وأخرى، لكن على أيّ حال، هذا الحصر الاقتصادي تسبب لنا بمشكلات وضغوط مالية، إذْ كانوا يمارسون الضغوط، ويخفضون أسعار النفط، وبالنتيجة لم تكن القوات المسلحة تحصل على الميزانية التي تحتاجها أبدًا. كانت [القوات المسلحة] دومًا في مأزق، سواء من حيث الميزانية أو من نواحٍ أخرى إلى ما شاء الله.

ما هو دور قائد الثورة وقيادته في القرارات الفنية المتخصصة بالصواريخ والطائرات المسيرة؟

في مجال الصواريخ، وعلى الأقل في السنوات الاثنتي عشرة الماضية، كان لدينا تواصل مباشر واجتماعات مستمرة مع قائد الثورة الإسلامية، وكنّا ننسّق معه في القضايا الأساسية، سواء بالحضور الشخصي أو عبر المراسلات. كان سماحته صاحب رأي خبير في هذا المجال، وأحيانًا كان يصحّح لنا مسار التقدّم. فعلى سبيل المثال، حين كنّا نسعى إلى زيادة السرعة في الجوانب الفنية للصواريخ، كان يؤكّد على ضرورة إعطاء الأولوية للدقة.

كنّا نناقش الأمر فيما بيننا، وكان الإخوة يقولون: مثلًا، عندما نضرب هدفًا بصاروخ ذي رأس حربي يزن طنًّا واحدًا، فهل هناك معنى للدقة هنا؟ حتى لو أخطأ الهدف بمئتي متر، فإن المكان سيتدمّر على أيّ حال. فلماذا نستثمر كلّ هذا الجهد؟ بالإضافة إلى ذلك، ليست لدينا البنية التحتية ولا الإمكانات اللازمة.

لكننا أدركنا في السنوات اللاحقة أن الأمر ليس كذلك. ففي بعض الأحيان، يجب علينا أن نختار بين أربعة منازل، حيث توجد مجموعة إرهابية في أحدها، وعلينا استهدافه بدقة. حتى لو استخدمنا رأسًا حربيًا صغيرًا، فالمهم أن يُقتل زعيم تلك المجموعة الإرهابية.

رأينا ذلك في الحرب ضد داعش، وفي استهداف الجماعات التكفيرية والإرهابية في كردستان العراق. أو حين نُصب كمين لقوّاتنا الأمنية في جنوب شرق البلاد، كنّا بحاجة إلى هذا المستوى من الدقّة لضرب قائدهم مباشرة. لقد أدركنا، في مثل هذه الحالات، أنّ الدقّة أمر بالغ الأهمية، ويجب أن يصيب السلاح الهدف بدقة تامة.

وفي بعض المراحل داخل القوات الجو-فضائية نفسها، كان بعض القادة السابقين يميلون إلى تطوير القطاع الجوي والطائرات. لكن سماحته قال بوضوح: لا تتابعوا هذا المجال، فهذه ليست مهمّتكم، بل هي مهمّة الجيش. أنتم ركّزوا فقط على الصواريخ، ولا تشتّتوا جهودكم في مجالات أخرى.

أو في السنوات الأخيرة، في مجال الطائرات المسيّرة، نرى آثار ذلك بالفعل؛ لقد وُلدت قوّة جديدة، وحدث تحوّل حقيقي.

انظروا الآن، بعد حرب قره باغ، بين أرمينيا وأذربيجان، استيقظت بعض الدول فجأة، وأدركت الدور الكبير الذي تؤدّيه المسيّرات، وأهميتها وتأثيرها الفعّال. طائرة مسيّرة واحدة، لا تتجاوز كلفتها ٣٠ ألف دولار، يمكنها أن تدمّر منظومة دفاع جوي من طراز S-٣٠٠ تبلغ كلفتها ٣٠٠ مليون دولار. أو تدمّر دبابة، لا أعلم كم تبلغ كلفتها، أو موقعًا محصّنًا فيه جنود أو راجمة صواريخ «كاتيوشا»، باستخدام المسيّرة فقط.

اليوم، بدأ الجميع يُدرك هذه الحقيقة. منذ سنوات طويلة، كان سماحته يؤكّد على هذا الأمر، وكان هناك أيضًا دافع لدى القوات، وكان لديهم الشغف والمتابعة المستمرة، وها نحن اليوم في مصافّ الدول العالمية. لا ينقصنا شيء، بل نحن متقدّمون في بعض المجالات. الإبداع إيراني، والعمل إيراني، وهو مختلف تمامًا، إذ يحمل طابعًا اختراعيًا.

لو طلبنا منكم تلخيص دور قيادة سماحة الإمام الخامنئي في اقتدار إيران اليوم، فماذا ستقولون؟

أعتقد أن دور سماحته في المجالات العسكرية والدفاعية عظيم جدًّا. لقد أشرتُ للتو إلى ثلاثة جوانب فقط، لكنه في الحقيقة أكبر من ذلك بكثير ويحتاج إلى تحليل دقيق ودراسة وبحث معمق.

نحن اليوم دولة قوية وقوة إقليمية، وحتى الأمريكيون والغربيون يعترفون بذلك، فعلى سبيل المثال، يقولون إن «إيران بطائراتها المسيرة سحبت منا التفوق الجوي بعد ٧٥ عامًا». وهذا ليس كلامًا عاديًا، بل تصريح صادر عن قائد عسكري في الجيش الأمريكي.

ففيما يتعلق بضربة عين الأسد، يقولون إن إيران استهدفت بالضبط النقطة التي قررت استهدافها. أما في استهداف داعش مثلًا، لم تكن الجماعات الإرهابية جيشًا نظاميًا يقاتل في جبهات محددة، بل كانوا يعيشون بين المدنيين في المنازل، أحيانًا برفقة النساء والأطفال. كان علينا تحديد النقاط التي تخص داعش فقط، ثم استهدافها بدقة وذلك أمام أنظار العالم أجمع، أي في مكان كانت الطائرات الأمريكية تحلق فيه، وكان الأوروبيون موجودين، وسوريا كانت هناك، وتركيا كانت هناك. أي أن العملية لم تكن في مكان معزول، بل كانت على مرأى العالم كله، والجميع يراقبون ويقيمون. وبالفعل، الجميع أشادوا وقالوا إن عملكم كان ممتازًا. الأمن الذي تنعم به البلاد اليوم قد انعكس مباشرة على حياة الناس وأمنهم. نرى الآن انعدامًا للأمن في مناطق مختلفة، أي أنه لا يمكن توفير الأمن بشكل مستعار. في هذه اللحظة، عندما يقل عدد القوات الأمريكية في المنطقة، تعرب بعض الدول العربية عن قلقها وتقول: «نحن قلقون من انسحاب أمريكا». لماذا؟ لأن قوتهم ليست نابعة من أنفسهم، بل هي قوة مستعارة وأمريكية.

قوّتنا العسكرية باتت في مصافّ الدول المتقدّمة عالميًا

سرّ النجاح في مجال الجو-فضاء في وفاء الجميع بالهدف والرؤية الاستراتيجية المحددة

نحن اليوم دولة قوية وقوة إقليمية، وحتى الأمريكيون والغربيون يعترفون بذلك

نحن مدينون بهذه الإنجازات، وإن شاء الله، بفضل هذا المسار المرسوم وقيادة وتوجيه سماحته، فإن قوتنا ستزداد يومًا بعد يوم. وإذا طُبقت هذه التوجيهات التي صدرت - وقد شرحتُ جانبها العسكري - وهي موجودة أيضًا في المجال الاقتصادي، والثقافي، وسائر المجالات، حتى في نمط العيش، باختصار لكل شيء؛ إذا عمل بها المسؤولون المختلفون، والناس، وكل من تقع على عاتقه مسؤولية، فإن هذا البلد، بإذن الله، سيغدو كالجنّة.

إلى أي مدى يشارك الشباب والنخبة العلمية في القوة الجو-فضائية، وإلى أي حد تعود الإنجازات الحالية لحضورهم؟

نعم، انظروا، هذه النجاحات في القوات الجو-فضائية نابعة من العمليات التي تم تنفيذها، ويُقرّ بها معظم الناس. عادةً نقول إن صناعة الصواريخ بدأت عام ١٩٨٤، وقد يظن بعض الناس أن هذا يعود إلى ٣٧ سنة مضت، وأن مجموعة من الرجال الكبار السن كانوا هم من بدأوا العمل بدافع الحماس. لكنني أقول الآن إن متوسط عمر أفراد القوات الجو-فضائية هو ٣٣ سنة، ومتوسط عمر قادتنا على مختلف المستويات، من قادة الفرق وقادة القواعد إلى قادة المناطق، يتراوح بين ٣٥ و ٤٠ سنة.

بالطبع، في قسم الباحثين لدينا، الذين يعملون على الأبحاث والأعمال الإنتاجية، جميعهم شباب ومتوسط أعمارهم منخفض. هل تحققت هذه الإنجازات فقط بفضل هؤلاء الشباب داخل القوات الجو-فضائية؟ لا، هذه القدرة والقوة هي نتيجة جهود كل البلاد. نحن الآن مرتبطون بجميع الجامعات، وهذا ما كرره سماحته مرات عدة: لتحقيق تحول في الصناعة، يجب أن يكون هناك تعاون بين الصناعة والجامعات. وهذا التعاون قائم حاليًا بيننا.

لقد دعمنا وشجّعنا كثيرًا من الشباب الموهوبين، الذين أسسوا شركات قائمة على المعرفة وأصبحوا متعاقدين، يعملون في مجالات متنوعة سواء معنا أو مع جهات أخرى. هذه الإنجازات تحققت في الغالب بجهود هؤلاء الشباب أنفسهم. برأيي، يكمن الحل للخروج من المشكلات في تمكين هؤلاء الشباب، مع الاستفادة من خبرات كبار السن. وعندما نقول «شباب»، لا نعني تعيين شاب في الثلاثين من عمره وزيرًا، فهذا ليس المقصود، ولكن بطبيعة الحال ليست كل المسؤوليات في مستوى الوزارة أو الرئاسة.

انظروا إلى عدد المدراء العامين، المحافظين، رؤساء الأقسام، العاملين في المصانع وقطاع الصناعة والجامعات؛ هنا يمكن للشباب أن يشاركوا بفعالية. لدينا تجربة ناجحة جدًا في هذا المجال.

هذه الأعمال التي نقوم بها، لا يمكنك إنجازها بعدد محدود من المئات، أو بأقصى تقدير بألفي شخص فقط. طبعًا الشباب هم من ينجزون هذه الأعمال. في اعتقادي، ليس فقط في المجال العسكري والتسليحي، بل في المجالات الاقتصادية وفي بقية القطاعات أيضًا، يكمن طريق الخروج من المشاكل في الثقة بهؤلاء الشباب، ومنحهم الفرصة ليأتوا ويعالجوا هذه القضايا، وقد استفدنا منهم إلى أقصى حد.

ما الذكريات التي ما زالت عالقة في أذهانكم من الجلسات واللقاءات التي جمعَتكم بقائد الثورة الإسلامية؟

لقد ذكرتُ بضع نقاط. بالطبع، ليس الأمر كذلك أن سماحته يتدخل في جميع الأمور، أو أن يبدي رأيًا مختلفًا عن العمل الجاري. لقد كانت هناك أوقات عدة زرناه فيها، فقال لنا: «تابعوا على هذا النهج، فهو جيد». كانت هناك حالات سألتُ فيها سماحته وقلتُ: «سيدي، هل أنت راضٍ عن القوات الجو-فضائية؟» فأجاب سماحته: «أنا راضٍ عن الحرس الثوري بأكمله. بالطبع تختلف النسبة من مكان لآخر، لكنني راضٍ جدًا عن القوات الجو-فضائية». كانت هذه من الذكريات الجميلة جدًا بالنسبة لنا، أننا تمكنا من كسب رضا سماحته.

سماحته ليس ممن يحضر جلسة ويتحدث قليلًا وينتهي الأمر؛ بل يجلس وهو مطّلع ومُلم. كثيرًا ما حصل أن حضرنا جلسات واكتشفنا أن سماحته قد اطلع بدقة على التقارير السابقة وكل ما كُتب. أحيانًا، حين يجلس الإنسان مع بعض الأشخاص، يلاحظ أنهم ينظرون إلى ساعاتهم ويشعرون بالضجر، وهذا التعامل يُشعر المرء بالتعب والفتور؛ لكن سماحته يطالع بدقة، يعرف الماضي، ويدرك التدابير، ولديه تصور واضح لمسار يمتد لسنوات عدة أمامه.

ذكرتم أن التقدّم العسكري اليوم هو ثمرة الالتزام بتوجيهات القيادة، فما هي توصيتكم لباقي المسؤولين؟

عبر التجربة التي اكتسبناها على مدى هذه السنوات من إرشادات وتدابير وقيادة سماحته، أعتقد أن المسؤولين إذا أخذوا هذه التوجيهات والتدابير في مختلف المجالات بجدّية، فسيحرزون التقدّم، حتى تلك التي تعود إلى سنوات مضت. برأيي، ينبغي لكل وزير أن يعود إلى ما قاله سماحته في ثلاثين عامًا عن وزارته، ويطالع هذه المسارات، ويدرسها ليستفيد منها.

ففي كل مجال، لدى سماحته تدابير يمكن أن تشكّل خريطة طريق. فليس الجهد وحده كافيًا؛ بعضهم يقول علينا أن نعمل ٢٠ أو ٢٤ ساعة في اليوم! لكن هذا قد يُبعدنا عن المسار الصحيح. فالإكثار من العمل دون دقّة قد يؤدي إلى إكثار من الإخفاق. علينا أن نتحرك بدقة، في الاتجاه السليم، وعلى مسار واضح، بخريطة طريق صحيحة. أرى أن هذه التدابير تمثّل ثروة عظيمة، وإذا أحسنَت جميع القطاعات الاستفادة منها، أعتقد أن البلاد ستُكتب لها النجاة، إن شاء الله.

من وجهة نظركم، ما هو سر تقدّم ونجاح صناعة الصواريخ في البلاد؟

إن سرّ النجاح في مجال الجو-فضاء -الذي تشمل الصواريخ جزءًا منه- يكمن أولًا في وفاء الجميع بالهدف والرؤية الاستراتيجية المحددة، رغم تغيّر القادة عبر الزمن. لقد تعاقب العديد من القادة، لكن الجميع ظلّ ملتزمًا ومسؤولًا تجاه هذا المسار. في قطاعات أخرى نرى مسؤولًا جديدًا يُهدم ما أنجزه سلفه، رغم أن الأخير قد أنجز عشر مهام، منها ثلاث غير ناجحة وسبع ناجحة، فلا يصحّ أن تُهدم الإنجازات كلها. ربما قمنا بتعديل خريطة الطريق، ومن المؤكد أن المسار الذي سلكناه يختلف عن مسار الشهيد مقدم، ومسار اللواء سلامي، والقادة السابقين، لكننا جميعًا كنا أوفياء للهدف. لقد كانت حركة جماعية، شارك فيها الجميع بإيمان.

هناك نقطة أخرى: قد يمتلك بعض المديرين أفكارًا جيدة ويكونون متمكّنين ومطلعين، لكن إشراك جميع المديرين أمر ضروري للغاية. إذا لم يتم ذلك، وظللنا نكتفي بإعطاء الأوامر فقط، فقد يستمر العمل مؤقتًا، لكن مع رحيل المسؤول يتوقف. لماذا نظل أوفياء لما قام به الشهيد مقدم؟ لأنه كان يجلس معنا، يتحدث، يشركنا في العمل، فكنّا نفهم الأمور ونتفكّر مثلَه. هذا أمر حاسم. العمل الفردي في غرفة مغلقة لاتخاذ القرار قد لا يثمر. قد تمتلك المعرفة والسيطرة، لكن من الضروري أن تجلس مع الفريق، تستشيرهم، وتبادلهم الآراء. تبادل الآراء هذا يجعل الأفراد يتعاونون، وحتى إن اختلف بعضهم بنسبة ٢٠٪ أو ٣٠٪ مع استنتاجاتكم، يبقون أوفياء لكم.